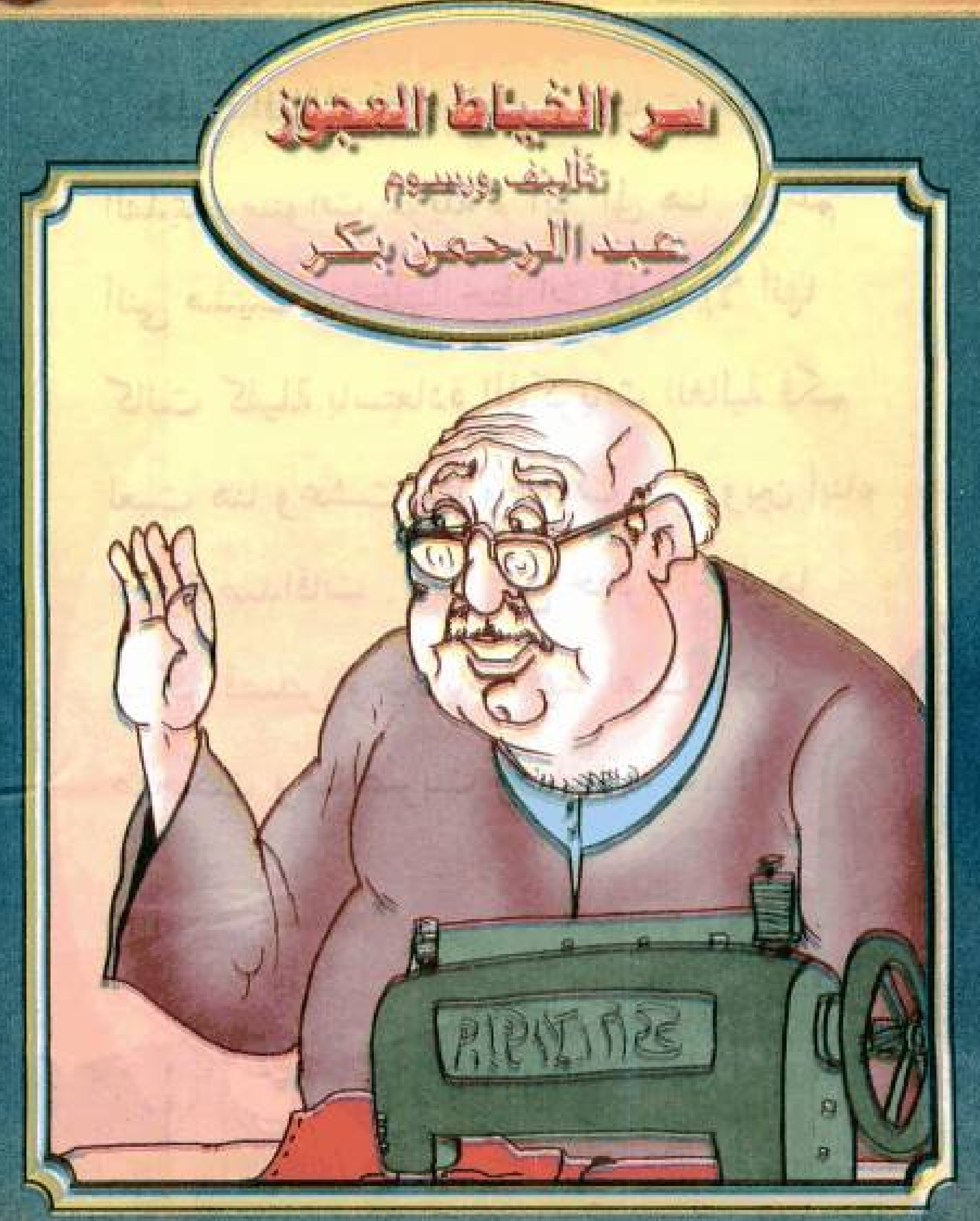
سلسلة أسرار الصغار

١١



سر الخياط العجوز

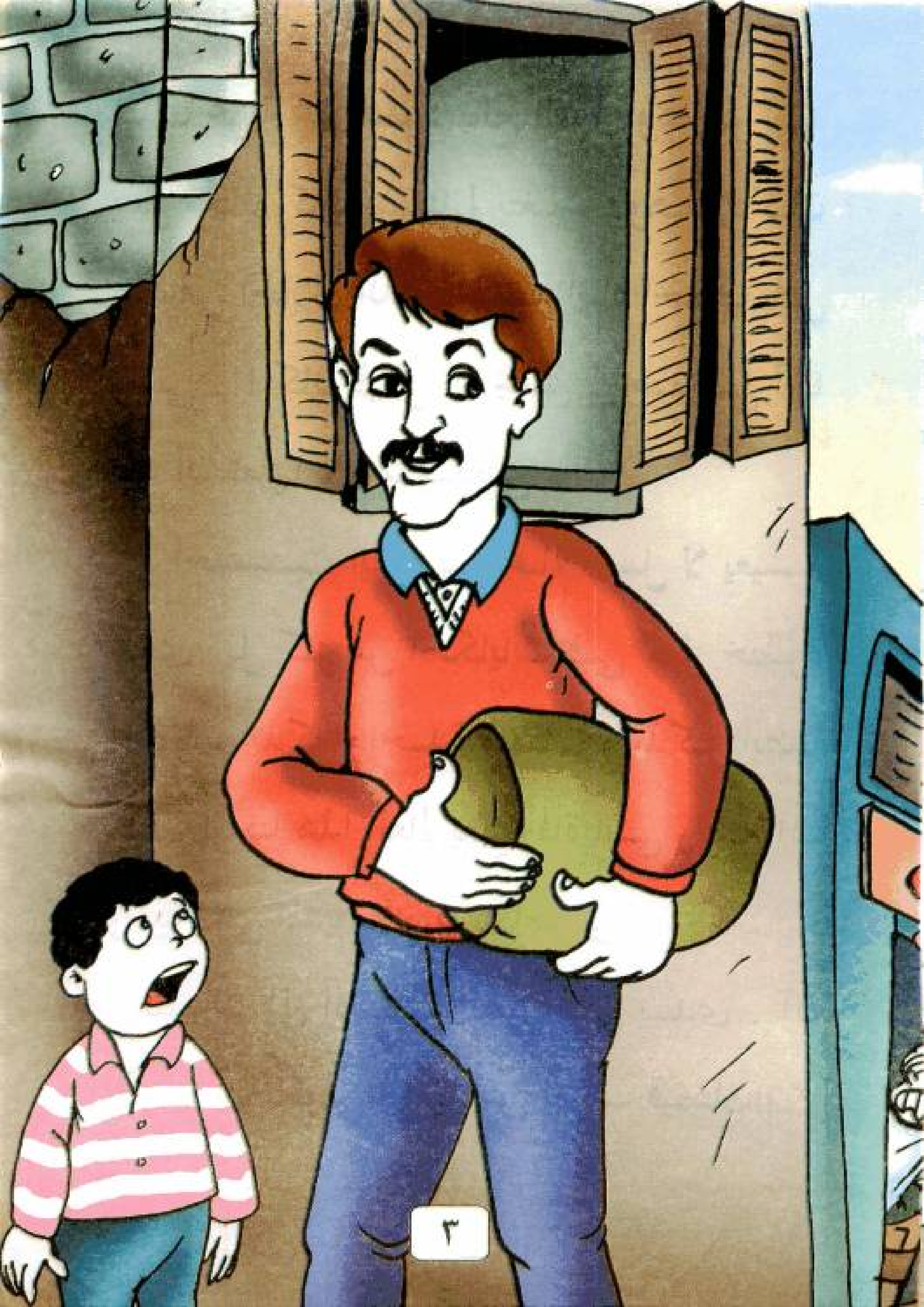
تأليف ورسوم

عبد الرحمن بكر

سر الخياط العجوز

حملت اللفافة تحت إبطي ودخلت حارتنا القديمة، سنوات طويلة لم آتى إلى هنا ورغم أننى مشيت بداخلها خطوات قليلة إلا أنها كانت كفيلة باستعادة الذكريات الغالية فكم لعبت هنا وعشت هنا وصارت بينى وبين أبناء الحارة صداقات .. فى كل خطوة أخطوها أتذكر قصص وحكايات فهنا لعبت وهنا ضحكت وهنا ضُربت وهنا ضَربت..!!

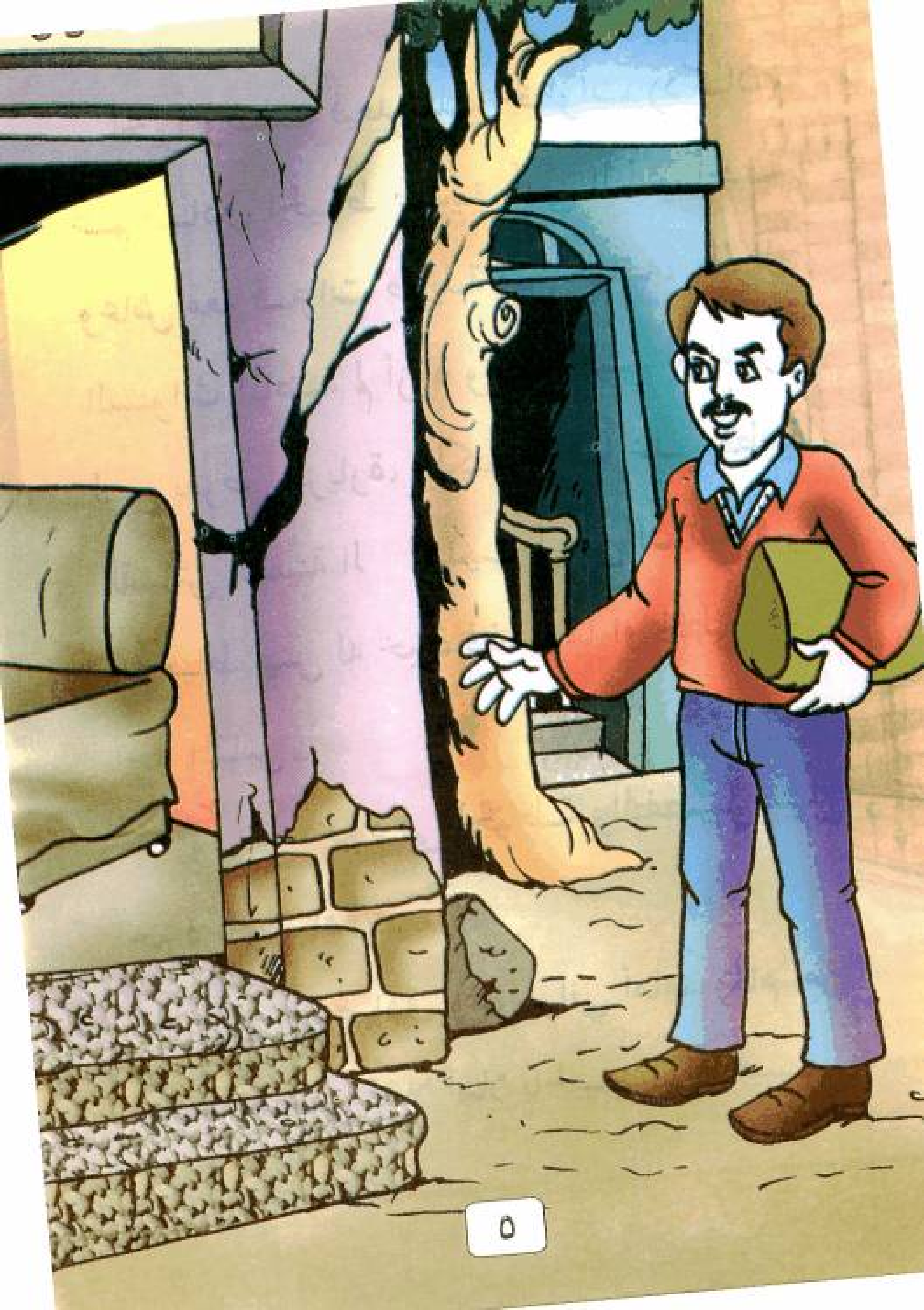




فتلك عربة عم محمود بائع الفول وها هو ابنه يبيع مكانه كأن شيئاً لم يتغير.. وهذا دكان صديقى الحلاق الذى علمه أباه الحلاقة فى رأسى..!! كان قبل أن يحلق لى صديقى أما بعد أن فعلها لم يعد صديقى.

أحسست أننى فى عالم جميل لا يعيشه غيرى..بل كنز من الحكايات فى كل خطوة أخطوها أتذكر واحدة منها.. وأتذكر أيضاً كيف تركنا هذا العالم بعد وفاة أبى رحمه الله وعشنا فى المدينة فى بيت أخوالى.

نظرت إلى اللفافة التى فى يدى.. آن الآوان أن تكونى فى يد من يعرف قيمتك!!..



أخيراً وصلت فبعد تلك الخطوات (دكان عم صادق الخياط صديق أبى الذي أحبه وعاش معه فترات طويلة من حياته، طوال السنوات الماضية لم أزره وأيضاً مجيئي له اليوم ليس بغرض الزيارة، ولكنه خوفاً على قطعة القماش الثمينة الا أهديت لي من أن تقع فى يد خياط ليس له خبرة فيفسدها أو يخطئ فى أخذ المقاس..

ومن له خبرة فى الخياطة والتفصيل مثل خبرة عم صادق!..

ابتسم عم صادق وهو يراني أمامه وقام من مكانه يحتضنني قائلا أهلا بالحبيب ابن الحبيب..

وبدأ بعدها سلسلة من اللوم لأنني لم أذره طوال السنوات الماضية.. واعتذرت له بصعوبة لعلمي أنني قصرت معه فعلا، ولم تمر لحظات حتى كان يقلب فى قطعة القماش



ويسألني عن أحوالي وحياتي...

وأمام كوب الشاي الساخن بدأ يحكى ذكرياته..مع أبى قائلاً:

كنت كما تراني ضخم الجسم وفى شبابي كنت عنيفاً أيضاً لكنى... لن أنسى هذا اليوم الذي غير حياتي كلها إنه يوم نجاحك فى المرحلة الابتدائية.. وأنت عائد إلى البيت سعيداً تريد أن تخبر والدك بنجاحك.

مررت يومها من أمام دكاني وأخبرتني ففرحت كثيراً وأخذت مقاسك لكى أفصل لك (بنطلون) هدية لنجاحك..ولكن عند خروجك من دكاني لم تلحظ عربة (كارو)



كانت تمر فداست بعجلاتها الخشبية على قدمك فكسرتها.

رشفت رشفة من كوب الشاي: قائلاً نعم أذكر يومها فقد جبسوا قدمى لقد كان ذلك شيئاً مؤلماً و...

لم ينتبه عم صادق لكلماتى وأكمل قائلاً:

أمسكت يومها سائق العربة كانت ثورتى بلا حدود.. وضربته ضرباً مبرحاً..! ضربته حتى كاد أن يموت فى يدي.. والناس يحاولون منعي عنه دون جدوى والدم يسيل من وجهه.

وأنا لا أتمالك نفسي من الغضب..، كيف يدوس قدم ابن أعز أصدقائي ويكسرها

كيف..؟ وماذا أقول لأبوك.. وقد كسرت قدمك يوم نجاحك وأنت خارج من دكاني..

وجاء أبوك رحمه الله على صوت الضجة

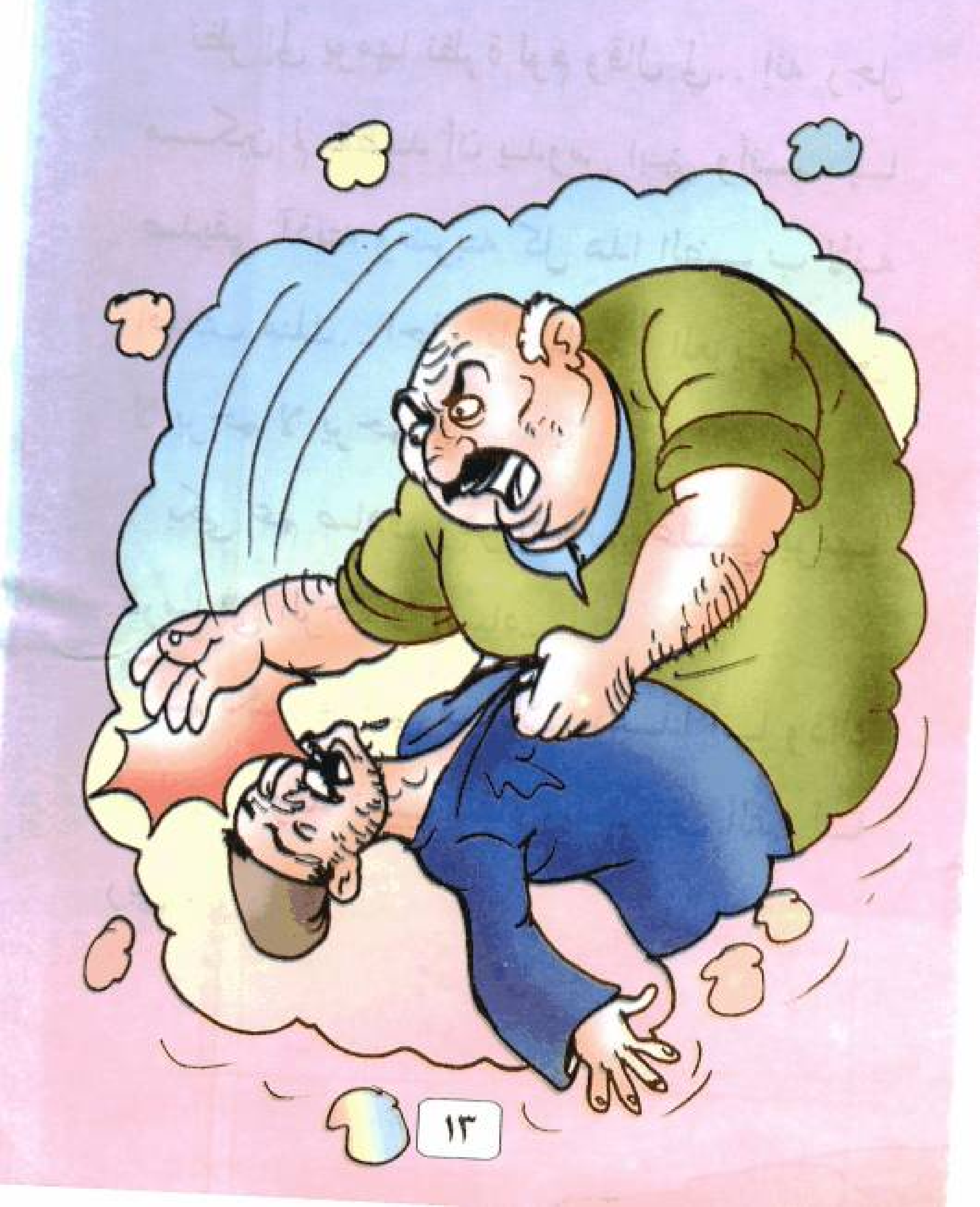


مسرعاً.. اقترب مني بسرعة ونزع الرجل من بين يدي..

ارتعب الرجل عندما عرف أنه أبوك.. لكن أباك مسح له الدم بمنديله وهدأ من رعبه وأنا أكاد أجن لما يفعل.. والأعجب من ذلك أنه أعطاه نقوداً أيضاً واعتذر له لأننا روعناه وضربناه..

لم أستطع أن أصدق ما يحدث وأنا أرى أباك وصاحب العربة يتعاونان على حملك والذهاب بك إلى المستشفى اقتربت من أبيك وقلت له فى غضب:

يكسر قدم ابنك وتمسح دمه وتعطيه نقوداً



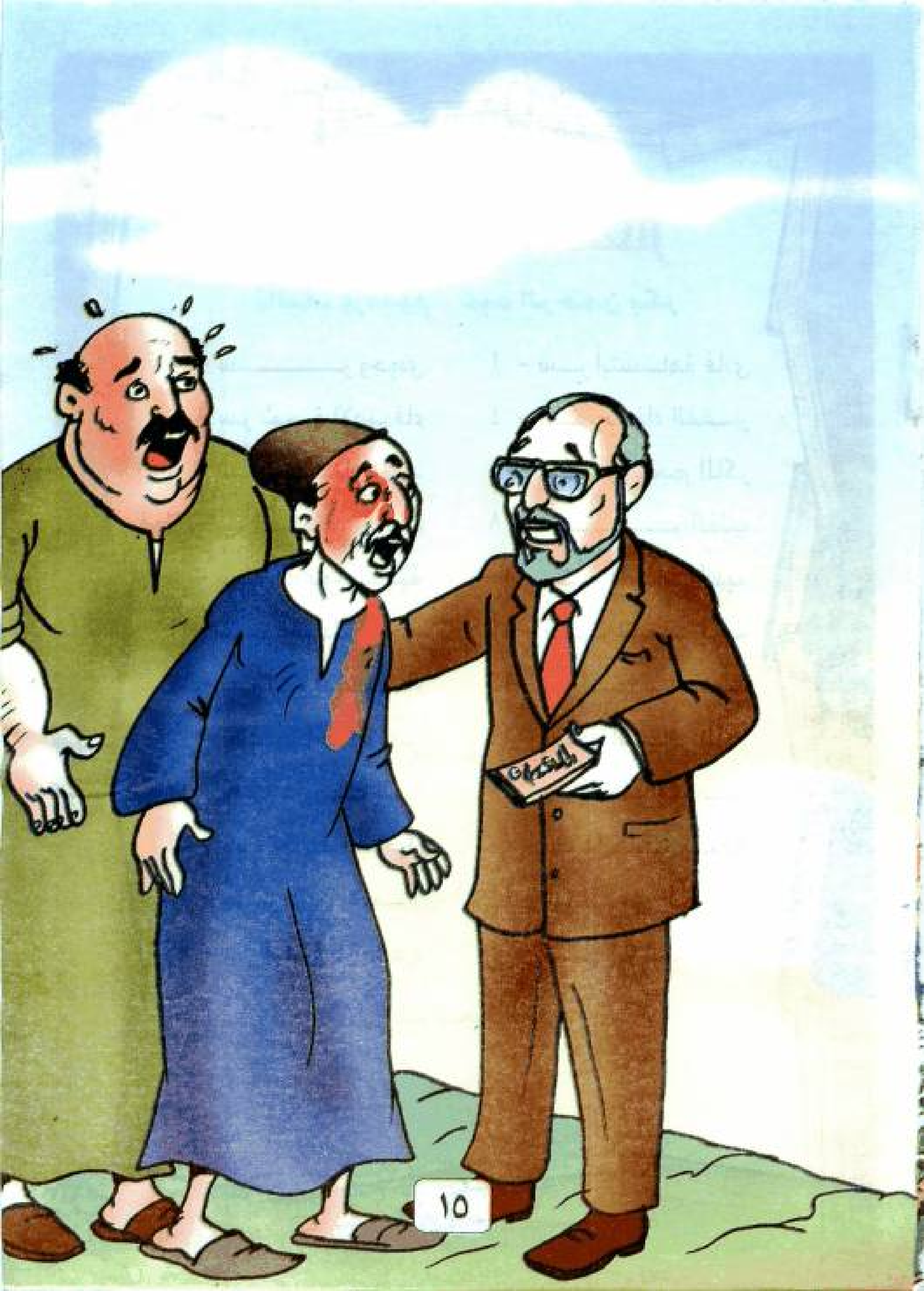
أيضاً.. كيف هذا..؟ كيف..؟

نظر إلىَّ يومها نظرة لوم وقال لي.. إنه رجل مسكين لم يقصد أن يدوس ابني وأنت يا صديقي آذيته وضربته كل هذا الضرب لأنه أضعف منك.. احذر يا صاحبي العزيز... من لا يرحم لا يرحم...

بكى عم صادق وهو يقول..علمني يومها درساً فى الرحمة لا أنساه..

ثم بكى وبكى قائلاً.. (هذا أنا وذاك أبوك)..، وقد ذهب للقاء ربه فكيف ألقى أنا ربى.

* * *





سلسة أسرار للصغار

تأليف ورسوم / عبد الرحمن بكر

دار مصر للطباعة

سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن

٥٠ قرشا